النّبر في اللّغة العربيّة

The stress in Arabic

د. هوارية الحاج علي[1]*

[1] وحدة البحث تلمسان (الجزائر)، البريد الإلكترونيّ: elhadjalihouaria79@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-09-04 تاريخ القبول: 2022-09-30 تاريخ النشر:2022-12-27

مُلخّص البحث

تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء على واحدة من أهمّ القضايا الصّوتيّة في الدّرس الصّوتيّ الحديث والمتمثّلة في عملية "النّبر". وقد بدأت البحث بالحديث عن مفهوم النّبر وذلك من خلال سرد مجموعة من التّعريفات الّتي ذكرها المحدثون، ثمّ انتقلت إلى ذكر ماهيته عند القدماء، حيث سجّلنا خلطا بين مصطلحي النّبر والهمز. ثمّ تحدّثت عن النّبر بين المؤيدين والمنكرين.

كما ذكرت أسباب حدوث عملية النّبر، ثمّ انتقلت إلى سرد قواعد هذه العملية في اللّغة العربيّة، وكان لِزَامًا عليّ أن أتطرّق إلى تعريف المقاطع الصّوتيّة وذكر أنواعها، وذلك لارتباطها الوثيق بالنّبر. ثمّ انتقلت إلى الحديث عن درجات النّبر كما خصّصت مساحة من هذا البحث للحديث وظيفة النّبر وأهمّيته في اللّغة.

وقد خلصت إلى جملة من النّتائج، أهمّها: ربط العرب النّبر بالهمز دون غيره من المصطلحات الصّوتيّة الأخرى دليل على حسّهم الصّوتيّ بحقيقته، فالمصطلحان يشتركان في عامل الشّدّة، فالنبر يعني الضّغط بشدّة على المقطع المنبور.

كلمات مفتاحية: الدّرس الصّوتيّ، النّبر، العربيّة، المقاطع الصّوتيّة، الهمز.

Abstract:

This research paper aims to highlight one of the most important voice issues in the modern voice lesson of the "stress" process. And I started to look at the concept of the epithet by listing a set of definitions that the speakers mentioned, and then I went on to mention what the ancients were, where we recorded a confusion between the terms stress and hems. And then I talked about the tone between the supporters and the deniers.

* **المؤلف المرسل: د. هوارية الحاج علي**

I also mentioned the reasons for the process and then went on to list the rules of the process in Arabic. I had to refer to the definition of vocal passages and their types because of their close connection to the stress.

She then went on to talk about the scoring of the tone and devoted a space of this research to talking about the function of the stress and its importance in language.

I went on to talk about the degrees of the epithet as I devoted a space of this research to talking about the function of the epithet and its importance in language. Then I sealed the search for the physical determinants of the stress.

It has reached a number of conclusions, the most important of which are: The two terms share the intensity factor. The stress means that the syllable is heavily compressed.

Keywords: phonetic; stress; Arabic; syllabic; accent

1. مقدمة:

أولى العرب منذ القدم الدّرس الصّوتيّ عناية كبيرة وذلك لارتباطه الوثيق بقراءة وتجويد كتاب الله عزّ وجلّ؛ صراحة أنّهم لم يفردوا له مؤّلفات خاصّة، بل انضوى ضمن عدّة مباحث، وتناثرت أبوابه في ثنايا عدد من مصنّفاتهم في مختلف العلوم نحو القراءات القرآنيّة، والنّحو، والبلاغة، وغيرها من العلوم.

وقد استّقلّ الدّرس الصّوتيّ في القرون الهجريّة الأولى في زمن الخليل بن أحمد، وسيبويه، وابن جنّي وغيرهم ممن أصّلوا لميلاد هذا العلم، ووضعوا لبناته الأولى في كتبهم ومعاجمهم، وهذا ينفي زعم المشكّكين حول أصالة الدّرس الصّوتيّ عند العرب، وزعمهم أنّهم تأثّروا بغيرهم من الأمم السّابقة من الهنود وغيرهم.

و"النّبر" واحد من أهمّ القضايا الصّوتيّة التّي تناولها علم الصّوت الوظيفيّ، فهو عنصر من عناصر التّركيب اللّغويّ يؤدّي وظيفة هامّة في دراسة اللّغة، فهو ظاهرة فوق مقطعيّة متعلّقة بالأداء الكلاميّ. وقد سعيت في بحثي هذا للإجابة على الإشكالية التّالية: هل عرف العرب حقّا النّبر في القديم؟

وقد تداخل مصطلح "النّبر" ومفهومه بمصطلح "الهمز" عند العرب قديما، وذلك نظرا لاشتراكهما في النّشاط الزّائد والقويّ لأعضاء النّطق في أثناء حدوثهما. لذلك ارتأيت أن أخصّص هذه الورقة البحثيّة لإماطة اللّثام عن هذين المصطلحين، وتخصيص مساحة كبيرة من هذا البحث للتّعريف بماهية النّبر، وشروطه، وأنواعه وما إلى ذلك.

2.مفهوم النّبر

أورد اللّغويّون المحدثون جملة من التّعريفات لعملية "النّبر" نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما قدّمه الدّكتور تمّام حسّان: "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السّمع عن بقية ما حوله من أجزائها".[1]

وهذا تعريف عامّ، يعني أنّ المقطع المنبور من الكلمة يجعله أكثر وضوحا من باقي المقاطع الأخرى.

وقد أورد أحد المختّصّين تعريفا مفصّلا يشرح فيه كيفية حدوث عملية النّبر، فقال: "نشاط في جميع أعضاء النّطق في وقت واحد فعند النّطق بمقطع منبور نلحظ أنّ جميع أعضاء النّطق تنشط غاية النّشاط إذ تنشط عضلات الرّئتين نشاطا كبيرا، كما تقوى حركات الوترين الصّوتيّين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرّب أقلّ مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذّبذبات، ويترتّب عليه أن يصبح الصّوت عاليا واضحا في السّمع".[2] ويقصد بالقول في هذه الحالة على وجه التّحديد نبر الأصوات المجهورة التّي يهتز معها الوترين الصّوتيّين على غير العادة، فيقتربان من بعضهما اقترابا شديدا فيمرّ مقدارٌ قليلٌ من الهواء، فتزيد سعة الذّبذبات الصّوتيّة، فيصبح الصّوت واضحا، وهذا ما فسّره قول تمّام حسّان الذّي أوردناه آنفا (وضوح جزء من الكلمة عن باقي الأجزاء الأخرى). أمّا في حالة نبر الأصوات المهموسة يحدث عكس ما حدث مع الأصوات المجهورة، فيبتعد الوتران الصّوتيّان أحدهما عن الآخر أكثر من ذي قبل فيتسرّب الهواء بكمّية كبيرة.

خلاصة القول أنّ جلّ التّعريفات المقدّمة حول ماهية النّبر تفيد بأنّه يتطلّب طاقة صوتيّة زائدة يبذلها المتكلّم، ينجم عنه وضوح سمعيّ زائد.

3. مفهوم النّبر عند القدماء

إذا أمعنا النّظر فيما قدّمه اللّغويّون القدامى لاحظا خلطا واضحا بين مصطلحيْ "النّبر" و"الهمز"؛ فهم لم يذكروا "النّبر" بصريح العبارة، وإنّما استعاضوا عنه باستعمال مصطلح "الهمز" وهذا ما لاحظناه في جلّ استعمالاتهم، وذلك نحو ما ذكره أبو زيد الأنصاريّ (ت215هـ): "أهل الحجاز وهذيل وأهل مكّة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر، فقال: ما آخذ من قول تميم إلاّ بالنّبر، وهم أصحاب نبر، وأهل الحجاز إذا اضطّروا نبروا".[3] وقد اقترن مصطلح النّبر بمصطلح الهمز عند ابن السّكّيت (ت244هـ)، ويتجلّى ذلك من خلال قوله: "النّبر مصدر نبرت الحرف نبرا، إذا همزته".[4] وهذا ما ذهب إليه ابن منظور (ت711هـ) أيضا، فقال: "النّبر بالكلام يعني الهمز، والنّبر مصدر نبر الحرف ينبره نبرا همزة، والمنبور المهموز، ويقال: نبر الرّجل نبرة إذا تكلّم كلمة فيها علوّ، وكلّ شيء رفع شيئا نبره".[5] وهنا يبدو الخلط واضحا، فلا يكاد صاحب لسان العرب التّفريق بين المصطلحين، فهما عنده متطابقين.

وقال ابن المؤدّب (ت414هـ): "ويسمّى نبرا لنبرك إيّاه إلى حنكك الأعلى والنّبر هو الرّفع".[6] في قول ابن المؤدّب نلمس مقاربة للمعنى الحقيقيّ عند المحدثين، فهو يشير إلى الرّفع، وهذا من خصائص النّبر.

صحيح أنّ "النّبر" شيء جديد على الدّراسات اللّغويّة، وأنّ النّحاة العرب لم يخلّفوا لنا مصطلحا محدّدا لهذه الظّاهرة؛ فاقترن معناه لديهم بمعنى الهمز، فقد استخدمت كلمة "النبر" مرادفة لكلمة "الهمز" وسمي الهمز نبرا لعلوّه على سائر الكلام.

وممّا يثبت عكس ما قاله هؤلاء الباحثين الّذين نفوا معرفة العرب القدامى لمصطلح النّبر وجود نصوص ومقتطفات في ثنايا مؤلّفاتهم تشرح ماهية النّبر وانتقاله؛ ومن ذلك قول ابن السّكّيت: "النّبر

مصدر نبرت الحرف نبرا، إذا همزته".[7] وكذلك قول ابن سينا (ت428هـ): "حفز قويّ من الحجاب وعضل الصّدر لهواء كثيرة".[8] فهذه إشارة من الشّيخ الرّئيس إلى ظاهرة الهمز الّتي تعني الضّغط، والنّبر، والارتكاز. وقد ارتبط المفهومين مع بعض للاشتراك الوارد بين المصطلحين؛ فالنّبر ينطق بارتكاز أكبر متطلّبا طاقة أعظم، والهمزة كما ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ): "وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفّه عنها لانت".[9] فالعامل المشترك بين النّبر والهمز هو الضّغط والجهد العضلي الزّائد المبذول في العمليتين. فمعظم تعريفات "النّبر" تفيد بأنّه يتطلّب طاقة زائدة وجهدا عضليا إضافيّا.

فالنّبر هو المكافئ الاصطلاحيّ للهمز عند العرب، ويُقصد به رفع الصّوت والضّغط على الكلام، وهذا التّصوّر لا يختلف على التّصوّر اللّسانيّ لمفهوم الهمز، وإن كان لا يفصل في وصفها وتقعيدها والتّمثيل لها وتقييدها بمقطع معيّن. فكلاهما يتطلّب نشاطا متّحدا من أعضاء النّطق: الرّئتان، وعضلات الصّدر، وأقصى الحنك، والشّفتان، واللّسان ممّا يؤدّي إلى تعاظم مساحة السّعة في الذّبذبات الصّوتيّة.[10]

وقد تعدّدت التّسميات الدّالة على مفهوم النّبر؛ فقد أطلق عليه الدّكتور محمود السّعران مصطلح "الارتكاز"؛ وهو يعني أنّ الصّوت أو المقطع الّذي ينطق بارتكاز أكبر من سواه في كلمة من الكلمات يبرز بروزا موضوعيّا من سائر الأصوات أو المقاطع المجاورة له. ويكون الصّوت أو المقطع الّذي يُنطق بارتكاز أكبر متطلّبا طاقة أعظم نسبيّا، فهو يتطلّب من أعضاء النّطق جهدا أعنف في النّطق بالإضافة إلى زيادة قوّة النّفس.[11] وقد أطلق عليه جان كانتينو(**Jean Cantineau**) مصطلح "النّبرة" فقال: "النّبرة هي إشباع مقطع من المقاطع، بأن تقوى إمّا ارتفاعه الموسيقيّ أو شدّته أو مداه، أو عدّة عناصر من هذه العناصر في نفس العناصر في المقاطع المجاورة".[12]

4. النّبر في اللّغة العربيّة بين الإثبات والإنكار

أنكر الغربيّون –وأخصّ على وجه التّحديد المستشرقون– وجود ظاهرة "النّبر" في اللّغة العربيّة؛ ومن أولئك نذكر المستشرق الألمانيّ هنري فليش (**Henri Fleish**) الّذي عدّ النّبر ظاهرة مجهولة تماما من طرف النّحاة العرب، وذلك حين قال: "نبر الكلمة فكرة مجهولة تماما لدى النّحاة العرب، بل لم نجد له اسما في مصطلحاتهم، ذلك أنّ نبر الكلمة لم يؤد أي دور في علم العروض العربيّ وهو المؤسَّسُ على تتابع مجموعة من المقاطع الطّويلة والقصيرة المحدّدة، أمّا علم الصّرف فيبدو أنّ فكرة النّبر قد أهمّته جزئيّا، وذلك في حالة واحدة فحسب، حين تلحق بالاسم المؤنّث ألف التّأنيث الممدودة (المنبورة) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة)".[13] وذهب كانتينو مذهب فليش، فقال: "فلم يذكره النّحاة العرب الّذين وصفوا لغتهم بدقّة بلغت ما بلغت، ولا مصنّفو كتب التّجويد الّذين خاضوا في أدقّ دقائق القراءات القرآنيّة".[14]

ويظنّ برجشتراسر (**Bergstrasser**) أنّه "لا نصّ نستند عليه في إجابة مسألة كيف حال العربيّة في هذا الشّأن (يعني النّبر) وممّا يتّضح من اللّغة نفسها، ومن وزن شعرها أنّ الضّغط لم يوجد، وذلك أنّ اللّغة الضّاغطة، يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة، وتقصيرها وتضعيفها، ومدّ الحركات المضغوطة، وقد رأينا أنّ كلّ ذلك نادر في اللّغة العربيّة".[15]

ويُعدّ تمّام حسّان أيضا من المنكرين لوجود ظاهرتَيْ "النّبر" و"التّنغيم" في اللّغة العربيّة، ويعلّل ذلك قائلا: "ولا يفوتني هنا إلى أنّ دراسة النّبر ودراسة التّنغيم في العربيّة الفصحى يتطلّب شيئا من المجازفة ذلك لأنّ العربيّة الفصحى لم تعرف هذه الدّراسة في قديمها ولم يسجّل لنا القدماء شيئا من هاتين النّاحيتين، وأغلب الظّنّ أنّ ما ننسبه للعربيّة الفصحى في هذا المقام إنّما يقع تحت نفوذ لهجاتها العامّية".[16]

وقد سار على شاكلتهم نفرٌ من اللّغويّين العرب المحدثين، منهم الدّكتور الطّيّب البّكوش الّذي أنكر وجود مصطلح "النّبر" في الدّرس النّحويّ العربيّ، فقال: "لم يدرس النّحاة العرب النّبرة مطلقا، فهي مفهوم غربيّ مثل المقطع، وهي أساس الإيقاع في جلّ اللّغات الغربيّة".[17] وأرجع

الدّكتور عبد القادر عبد الجليل عدم امتلاك الدّليل على الكيفية الّتي كان العرب الأوائل ينبرون بها كلماتهم إلى أنّ الظّاهرة لم تلفت انتباههم، ولذا فإنّهم لم يولوها الأهمّية في التّسجيل والتّتبع، ويرجّح أن يكون السّبب وراء ذلك أنّ النّبر لا يشكّل عاملا أساسيّا في تغيير المعاني كما هو الحال في اللّغة الإنجليزيّة، الّتي يكون فيها موضع النّبر حرّا أو مطلقا.[18]

وقد أورد الدّكتور إبراهيم أنيس نصّا نستشّف من خلاله أنّ العرب القدامى عرفوا النّبر لكنّهم لم يسوغوا ضوابط وقوانين تحدّد مكانه من الكلمة، فقال: "ليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النّبر في اللّغة العربيّة، كما كان يُنطق بها في العصور الإسلاميّة الأولى؛ إذ لم يتعرّض له أحد من المؤلفين القدماء. أمّا كما ينطق بها قرّاء القرآن الآن في مصر، فلها قانون تخضع له، ولا تكاد تشذّ عنه".[19] وتجدر الإشارة إلى أنّ إبراهيم أنيس له فضل السّبق في التّطرّق إلى موضوع النّبر وتطبيقه في اللّغة العربيّة، ثمّ صاغ قوانين تضبطه، ثمّ سار على سمته الدّارسون العرب.

صحيح أنّ "النّبر" شيء جديد على الدّراسات اللّغويّة، وأنّ النّحاة العرب لم يخلّفوا لنا مصطلحا محدّدا لهذه الظّاهرة؛ فاقترن معناه لديهم بمعنى الهمز، فقد استخدمت كلمة "النّبر" مرادفة لكلمة "الهمز" وسمّي الهمز نبرا لعلوّه على سائر الكلام.

وممّا يثبت عكس ما قاله هؤلاء الباحثين الّذين نفوا معرفة العرب القدامى بمصطلح "النّبر" وجود نصوص ومقتطفات في ثنايا مؤلّفاتهم تشرح ماهية النّبر وانتقاله؛ ومن ذلك أقوال القدامى الّتي أسلفت ذكرها. وقد ارتبط المفهومين مع بعض للاشتراك الوارد بين المصطلحين؛ فالنّبر ينطق بارتكاز أكبر متطلّبا طاقة أعظم، والهمزة كذلك.

ولابن جنّي (ت392هـ) نصّ شاهد على وجود النّبر في اللّغة العربيّة يقول فيه: "وقد حُذفت الصّفة ودلّت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سِيرَ عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل: وكأنّ هذا إنّما حذفت فيه الصّفة لما دلّ من الحال على موضعها. وذلك أنّك تحسّ في كلم القائل لذلك من التّطويح، والتّطريح، والتّفخيم، والتّعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو

نحو ذلك. وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلته. وذلك أن تكون في مدح إنسان، والثّناء عليه فتقول: كان واللّه رجلا! فتزيد في قوّة اللّفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكّن في تمطيط اللاّم وإطالة الصّوت بها وعليها، أي رجلا فاضلا أو كريما أو نحو ذلك. وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضّيق فقلت: سألناه وكان إنسانا! وتزوي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك".[20]

فألفاظ "التّطويح"، و"التّطريح"، و"التّفخيم" من خلال معانيها اللّغويّة تشير إلى رفع الصّوت وانخفاضه، والذّهاب به كلّ مذهب وهي على هذا إشارة إلى النّبر. كما أنّ معالجة اللّغويّين العرب لما أسماه سيبويه بـ "الإشباع"، ودعاه ابن جنّي "مطل الحركات" فهم واستيعاب لمسألة الضّغط على حركات الكلمة لتطول كمّيتها الصّوتيّة؛ فتصبح الكسرة ياء، والضّمّة واوا، والفتحة ألفا.[21] وهذا مفهوم النّبر بمعناه العام.

ولا يعني أنّ عدم احتلال "النّبر" مساحة واسعة في الوسط الصّرفيّ العربيّ دليل إنكاره، وأنّ العرب لم يعرفوه البتّة، فالنّبر لا يُستخدم في العربيّة كفونيم تمييزيّ، إلاّ أنّ هذا لا ينفي وجوده في اللّغة، ولا تكاد تخلو منه أيّة لغة.[22] ففي متن العربيّة العديد من الشّواهد يمكننا أن نلتمس منها فونيميّة النّبر، ولكنّ عدم الفطنة إلى تحليلها وتقعيدها وتسجيلها منح البعض الفرصة لإنكارها في اللّغة العربيّة. فلم يفرد علماء العربيّة "النّبر" بمصطلح واحد لكّنهم أشاروا إليه، وإن لم يخصّوه بمبحث مستقلّ.[23] وحقيقة الأمر أنّ العرب عرفوا "النّبر" وعبّروا عنه بمصطلحات كثيرة نذكر منها: الهمز، والعلوّ، ومطل الحركات، والارتكاز، والإشباع، والمدّ، والتوتّر، وهذا ما يبطل زعم المشكّكين في حقيقة هذه المسألة.

وإذا عرّجنا على المؤيّدين لوجود ظاهرة النّبر في اللّغة العربيّة وجدنا المستشرق كارل بروكلمان (**Brocklman**) الّذي يُقرّ بوجود نوع من النّبر في العربيّة القديمة تغلب عليه الموسيقيّة، ويتوّقف على كميّة المقطع إذ يسير من مؤّخرة الكلمة نحو مقدّمتها حتّى تقابل مقطعا طويلا يقف

عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإنّ النّبر يقع على المقطع الأوّل.[24] وقد اهتمّ الدّارسون المحدثون بظاهرة "النّبر" دون أن يدخلوا دائما مجالات الدّراسات العلميّة المخبريّة الدّقيقة في هذا الموضوع، ويعود الاختلاف في تحديد "النّبر" إلى انعدام المرجعيّة القديمة في الموضوع، وإلى تباين العرب في نطقهم بالفصحى بسبب التّأثّر الشّديد باللّهجات المحليّة الّتي تعتمد على قواعد خاصّة في النّبر لا تتّفق اتّفاقا تامّا.[25]

إنّ تداخل مفهومَيْ النّبر والهمز عند العرب القدماء لا يعني أنّهم جانبوا الصّواب، بل يرجع ذلك إلى انعدام الوسائل المخبريّة واعتمادهم على السّماع والتّدوين فقط، ضف إلى ذلك أنّ المصطلَحَيْن متقاربان دلاليّا.

5. أسباب حدوث النّبر

إرجاع عملية "النّبر" إلى أسباب بيئيّة تارة وأسباب نفسيّة ذات أبعاد دلاليّة تتّصل بسياق الحال تارة أخرى؛ ذلك بأنّ ما يطرأ على الطّبيعة الكلاميّة من عدول سياقيّ يعدّ من أكثر الأمور ارتباطا بهذا السّياق الّذي يحوي العملية اللّغويّة كلّها.[26]

ويفسّر الدّكتور عبد القادر عبد الجليل هذه الظّاهرة قائلا: "ويبدو أنّ العامّة عند أهل العراق قد استأنست هذه الصّورة النّطقيّة، حتّى أنّني ألحظها عند المثقّفين. ويبدو أنّ إطالة الصّائت القصير، كان وراءه غرض قصديّ، هو توكيد الدّعاء بالحفظ".[27]

فعندما نشبع حركة من الحركات نجد أنّنا أنشأنا حرفا من حروف المدّ يجانس الحركة المشبعة، فلو أشبعنا فتحة العين في "عَمر" مثلا لوجدنا أنّها تصبح ألفا وتكون اللّفظة "عَامر"، وكذلك لو أشبعنا الكسرة في عين "عِنب" لأنشأنا منها ياء ساكنة فتصبح "عِينب"، وأشبعنا ضمّة العين في "عُمر" لأنشأنا بعدها واوا ساكنة فتكون "عُومر". والّذي يؤكّد حديث الإشباع هذا أنّ العرب ربّما احتاجت في أشعارها إلى حرف مجتلب لإقامة الوزن فلجأت حينئذ إلى إشباع الحركة فيتوّلد منها

حرف.[28] قال ابن جنّي: فلو لم تكن الحركات أبعاضا لحروف المدّ هذه (وأوائل لها لما نشأت عنها ولا كانت تابعة لها).[29]

6. قواعد النّبر في اللّغة العربيّة

النّبر في اللّغة العربيّة محكوم بقوانين صوتيّة وإن لم يُقيّد برمز، فوضوح دخوله في الميزان الصّرفيّ أمر بات معلوما من شواهد الأقدمين، أمّا أنّ العربيّة لا تلجأ إليه في تمييز أنواع الاستخدام اللّغويّ فلأنّها تمتلك سبيلا آخر أكثر استدلالا ووضوحا هو الصّيغة أو البنية الصّرفيّة. إنّ قواعد النّبر بحاجة إلى قوّة إدراك وملاحظة وأذن مرهفة السّمع، ولابدّ للوقوف عليها من معرفة بمقاطع أبنيتها.[30]

سعى الباحثون والدّارسون المحدثون سعيًا حثيثًا لوضع ضوابط وقواعد يُهتدى بوساطتها إلى تحديد مواطن النّبر، ولما كانت العلاقة بين عملية النّبر والمقاطع الصّوتيّة وطيدة، كان لزاما علينا ذكر ماهية المقطع الصّوتيّ في اللّغة العربيّة وذكر أنواعه.

فالمقطع عبارة عن خفقة صدريّة وتتابع من الأصوات الكلاميّة، له حدّ أعلى أو قمّة إسماع طبيعيّة تقع بين حدّين أدنيين من الإسماع.[31] والمقاطع الصّوتيّة في اللّغة العربيّة ستّة أنواع هي:

- المقطع القصير: يتكوّن من صامت مصوّت، ويرمز له بـ (ص م).
- المقطع المتوسّط المفتوح: يتكوّن من صامت ومصوّت طويل، ورمزه (ص م م).
- المقطع المتوسّط المغلق: يتكوّن من صامت ومصوّت قصير فصامت، ورمزه (ص م ص).
- المقطع الطّويل المغلق بصامت (أحادي الإغلاق)، ورمزه (ص م م ص).
- المقطع الطّويل المغلق بصامتين (مضاعف الإغلاق): يتكوّن من صامت ومصوّت وصامتين، ورمزه (ص م ص ص).

وينضاف إلى هذه المقاطع الخمسة مقطع سادس يتكوّن من صامت ومصوّت طويل فمصوّتان صامتان، ويرمز له بـ (ص م م ص ص)، وهو نادر الحدوث، ومثاله: (شَاقّْ)، و (ضَالّْ).

وقد تغاضى عنه كثير من الدّارسين الصّوتيّين وذلك لقلّته وندرة حدوثه. وهو نادر الوجود في النّثر العربيّ، ولا أثر له في الشّعر العربيّ.[32]

حاول جان كانتينو تلخيص قواعد النّبر قائلا: "حين نعدّ المقاطع ابتداء من نهاية الكلمة، فإذا لم تشتمل الكلمة على مقطع طويل وقع النّبر على المقطع الأوّل منها، ولا يقع النّبر على الحركات الطّويلة في نهاية الكلمة".[33]

وقد صاغ لنا الدّكتور إبراهيم أنيس قاعدة يُستعان بها لمعرفة مواقع النّبر في العربيّة الفصحى أكثر شمولا ممّا جاء به كانتينو، فقال: "ينظر إلى المقطع الأخير فإذا كان من النّوعين الرّابع والخامس، كان هو موضع النّبر، وإلاّ نظر إلى المقطع الّذي قبل الأخير فإن كان من النّوع الثّاني أو الثّالث، حكمنا بأنّه موضع النّبر، أمّا إذا كان من النّوع الأوّل، نظر إلى ما قلبه فإن كان مثله أي من النّوع الأوّل أيضاً كان النّبر على هذا المقطع الثّالث حين نعدّ من آخر الكلمة. ولا يكون النّبر على المقطع الرّابع حين نعدّ من الآخر إلاّ في حالة واحدة وهي أن تكون المقاطع الثّلاثة الّتي قبل الأخير من النّوع الأوّل".[34] يقاس النّبر باعتماد العدّ العكسيّ للمقاطع الصّوتيّة المكوّنة للكلمة المنبورة من اليسار إلى اليمين، وذلك يحدّد مواقعها بدقّة في البنية اللّغويّة، فعملية عدّ المقاطع بهذه الصّفة أمر ضروريّ لمعرفة موقع النّبر بطريقة صحيحة.[35]

وذلك نحو:

7. درجات النّبر:

ميّز الصّوتيّون بين ثلاث درجات رئيسيّة من النّبر، وهي:[36]

أ- النّبر القويّ: وتسمّى المقاطع الّتي يقع عليها هذا النّوع من النّبر "قويّة الارتكاز" أو "ارتكازيّة".

ب- النّبر الضّعيف: وتسمّى المقاطع الّتي تتّصف بهذا الارتكاز "ضعيفة الارتكاز" أو "غير مرتكزة".

ت- النّبر الثّانويّ (الوسيط): وهو درجة من النّبر وسط بين الدّرجتين السّابقتين.

8. وظيفة النّبر

تكمن أهمية النّبر في التّفريق بين معنى وآخر من الوجهة الدّلاليّة، وعليه يمكن أن نعدّ النّبر سمة صوتيّة وظيفيّة لها قيمة دلاليّة في التّوجيه، وإذا أخفق النّبر في هذا يصير كباقي فونيمات.

وللنّبر وظيفة نطقيّة متّصلة بنظام أداء الكلام؛ فالمتكلّم يقسّم الحدث المنطوق إلى أقسام ترتبط بأهمّية المقاطع الّتي يؤدّيها من جهة، وبإيقاع تنفّسه الطّبيعيّ من جهة أخرى. فقد أثبتت الدّراسات الصّوتيّة اللّهجيّة أنّ اللّهجات والبيئات اللّغويّة أنّ البيئات اللّغويّة الّتي تميل إلى السّرعة في أداء الكلام تعتمد النّبر من أجل بلوغ تلك السّرعة. أمّا الوظيفة الدّلاليّة فهي متّصلة بسياق الحال وتتحدّد وفقا لاختيار المقطع المنبور، فإنّ هذا الاختيار محكوم بالأغراض الدّلاليّة الّتي يبغي المتكلّم توصيلها وإبلاغها للسّامعين.[37]

9. شروط النّبر

ليست كلّ الكلمات صالحة لوقوع النّبر على مقطع من مقاطعها، بل يجب توفّر شَرْطَيْنِ أساسيين هما:

- أن تكون الكلمة ذات معنى في نفسها مستقلّة بأدائه، ونعني بهذا أن تكون الكلمة اسماً أو فعلاً أو أداة تكتفي بمعناها، كحرف النّفي (لا) وحرف الجواب (نعم).
- أن تكون مكوّنة من مقطع طويل على الأقل، لأنّ المقطع القصير (ص م) لا يمكن أن يكون موضع نبر إلاّ إذا اعتمد على مقطع طويل بعده في نهاية الكلمة أو على مقطعين قصيرين، لأنّ المقطع القصير أضعف من أن يحتمل الضّغط الّذي قد يطيل حركته فيخرجه عن مفهومه الاشتقاقيّ أو الدّلالي.[38]

10. خاتمة:

أفضت الرّحلة مع هذا البحث إلى استخلاص جملة من النّتائج نوردها كما يلي:

- "النّبر" حقيقة علميّة واردة في الدّرس الصّوتيّ القديم لا يمكن إنكارها، ودليل ذلك وصفه بعدد من المصطلحات الدّالة على القّوّة كالمطل، والتّطويح، والعلوّ، والارتكاز، وهذا ما أثبتته الدّراسات الصّوتيّة الحديثة، فالنّبر يعني الضّغط والقوّة والشّدّة الزّائدة.
- ربط العرب النّبر بالهمز دون غيره من المصطلحات الصّوتيّة الأخرى دليل على حسّهم الصّوتيّ بحقيقته، فالمصطلحان يشتركان في عامل الشّدّة، فالنبر يعني الضّغط بشدّة على المقطع المنبور، وهذا ما يستدعي قوّة ونشاط عضليّ زائدين، وهذا ما يحدث تماما مع إنتاج صوت الهمزة المهتوت المضغوط الّذي يشبه عملية التّهوّع.
- عملية النّبر تحتاج إلى دراسات معمليّة ومخبريّة مكثّفة ليتمّ فهم حدوث هذه العملية بشكل أشمل، لأنّ الدّراسات النّظريّة غير كافية، وذلك اعتمادا على التّسجيلات الصّوتيّة والتّحليل الآلي للمنطوق.
- يرتبط النّبر ارتباطا وثيقا بالمقاطع الصّوتيّة.
- يعدّ المرحوم إبراهيم أنيس من الأصواتيين العرب الرّائدين في بحث موضوع النّبر، ودليل ذلك تلك القوانين الّتي سنّها للكشف عن مواطن النّبر في الكلام، وقد سار على سمته العديد من الباحثين والدّارسين في مجال علم الأصوات.

الهوامش:

[1] تمّام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، دار الثّقافة، د. ط، المغرب: 1400هـ/1979م، ص160.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغويّة، مكتبة نهضة مصر، د. ط، القاهرة: د.ت، ص138.

[3] إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، د. ط، القاهرة: 2003م، ص78-79.

[4] ابن السّكّيت، إصلاح المنطق، تصحيح: محمّد مرعب، دار إحياء التّراث العربي، ط1، لبنان: 2002م، ص66.

[5] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، د. ط، لبنان: د. ت، ص168.

[6] عبد القادر مرعي بني بكر، المصطلح الصّوتيّ عند علماء العربيّة القدماء في ضوء علم اللّغة المعاصر، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن: 2016م، ص236.

[7] ابن السّكيت، إصلاح المنطق، ص66.

[8] ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمّد حسّان الطّيّان ويحي مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحّام وأحمد راتب النّفّاخ، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، د. ط، سورية: د. ت، ص52.

[9] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: مهدي المخزومي إبراهيم السّامرّائيّ، دار الرّشيد، العراق، د. ط، د. ت، ص52.

[10]ينظر: البابيي أحمد، القضايا التّطريزيّة في القراءات القرآنيّة –دراسة لسانيّة في الصّوّاتة الإيقاعيّة–، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن: 2012م، ص51-52.

[11]ينظر: محمود السّعران، علم اللّغة –مقدّمة للقارئ العربيّ–، دار النّهضة العربيّة، د. ط، بيروت: د. ت، ص189.

[12]كانتينو، جان، (1966م)، دروس في علم أصوات العربيّة، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، منشورات مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، د. ط، جامعة تونس: 1966م، ص194.

[13]ينظر: هنري فليش، العربية الفصحى: دراسة في البناء اللّغويّ، تعريب وتحقيق وتقديم: عبد الصّبور شاهين، مكتبة الشّباب، مصر، ط2، د. ت، ص19.

[14]المرجع السابق، ص55.

[15]برجشتراسر، التّطوّر النّحويّ للّغة العربيّة، إخراج وتصحيح وتعليق: رمضان عبد التّوّاب، مكتبة الخانجي، د. ط، مصر: 1994م، ص55.

[16]تمّام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، دار الثّقافة، د. ط، المغرب: 1400هـ/1979م، ص163-164.

[17]بكوش، الطّيّب، التّصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم: صالح القرمادي، المطبعة العربيّة، ط1، تونس: 1992م، ص80.

[18]ينظر: عبد الجليل عبد القادر، علم الصّرف الصّوتيّ، دار أزمنة، د. ط، الأردن: 1998م، ص73.

[19] إبراهيم أنيس، في اللّهجات العربيّة،ص104.

[20]ابن جنّي أبو الفتح عثمان، (د. ت)، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النّجّار، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت.، ج1، ص147.

[21] ينظر: العطية، خليل إبراهيم، في البحث الصّوتيّ عند العرب، دار الجاحظ للنّشر، ط1، العراق: 1983م، ص68.

[22]ينظر: نفسه، ص115.

[23]ينظر: عبد الجليل، ص115.

[24]ينظر: كارل بروكلمان، فقه اللّغات السّامية، ترجمة: رمضان عبد التّوّاب، جامعة الرّياض، د. ط، المملكة العربيّة السّعوديّة: 1977م، ص65.

[25]ينظر : عبد الفتاح ابراهم، مدخل في الصّوتيات، دار الجنوب للنّشر، د. ط، تونس: د. ت، ص166.

[26]ينظر: جعفر، محمّد، (2007)، المستوى الصّوتيّ في قراءة سورة "عبس" المباركة، مقاربة دلاليّة على ضوء النّبر والتّنغيم، مجلّة مركز دراسات الكوفة، العراق، المجلّد2، العدد6، ص11.

[27]المرجع السابق، ص118.

[28] ينظر : حسام سعيد النعيمي، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جنّي، دار الرشيد، د. ط، العراق: 1980م، ص324.

[29] ينظر :الخصائص، ص20.

[30] ينظر: علم الصرف الصوتي، ص118

[31] ينظر: مناهج البحث في اللغة، ص171.

[32]ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغويّ، عالم الكتب، د. ط، القاهرة: 1997م، ص302.

[33]دروس في علم أصوات العربيّة، ص125.

[34]الأصوات اللغوية، ص173.

[35]ينظر : علم الصرف الصوتي، ص119.

[36]ينظر: المرجع نفسه، ص190.

[37]ينظر: المرجع نفسه، ص198.

[38]ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطّباعة والنّشر، د. ط، القاهرة: 2000م، ص205-206.